تنامى جرائم الكراهية في إسبانيا عاماً بعد آخر (العربي الجديد)

ينمو خطاب الكراهية في إسبانيا مستهدفاً ذوي الأصول الأجنبية، ولا سيما الناشطين في مجال مواجهة العنصرية، ضمن حالة يؤججها اليمين المتطرف، عبر المعلومات المفبركة التي تسفر عن جرائم في العالمين الافتراضي والحقيقي

خطاب الكراهية [2/1]

استهداف الناشطين في مواجهة العنصرية بإسبانيا

مدريد ـ **عقبة محمد**
مارتا نيبوت

وجد الناشط في مجال مكافحة العنصرية والصحافي الإسباني من أصل غامبي، موها غيريهو Moha Gerehou، نفسه هدفاً لـ«هجمات كراهية شرسة» على موقع (X)، بعد ما شغل منصب رئيس منظمة SOS Racismo Madrid (غير ربحية لمكافحة العنصرية)، وتولى تنظيم الأنشطة الهادفة لمكافحة إرهاب الأجانب والعنصرية، ليتصاعد الاستهداف عقب الإعلان عن تنظيم أول تظاهرة مناهضة للتمييز يقودها ذوو الأصول المهاجرة في إسبانيا عام 2017، وهو العام الذي تحول فيه إلى شخصية معروفة بعدما حظي بعدد كبير من المتابعين في وسائل التواصل الاجتماعي، كما صار مرجعية في هذا المجال. لكن الثمن الأكبر الذي دفعه غيريهو نتيجة مواقفه، وقع جراء مشاركته في حملة أطلقها نشطاء عبر هاشتاغ «إسبانيا ليست بيضاء» في عام 2016، إذ وجد صورته ضمن مزاد إلكتروني، وكانت الرسالة الأولى التي تلقاها: «نبدأ مزاد الشهر بـ 1000 يورو، من يدفع المزيد؟»، ليرد آخر: «إذا كان خالياً من الديدان ومعه شهادة من الطبيب البيطري، سأرفع السعر لـ 1200 يورو»، ثم شارك ثالث: «إذا سمحتم لي بإطلاقه وسط الحقل واصطياده، سأدفع 1400 يورو». ولا يعتبر الناشط الإسباني تلك العبارات مجرّد جمل عابرة هدفها الاستهزاء بشخصه، وإنما تحيل إلى خلفية وأبعاد أعمق وأخطر، وهو رأي توافقه فيه الباحثة الحقوقية في منظمة SOS Racismo Madrid كريستينا سان مومو، التي ترى أن ربط الأسود بالعبودية وكأنه غرض يجري تبادله بين الأصدقاء، واستخدام مصطلحات مثل «الديدان» و «الطبيب البيطري» يعود إلى مساواة الأسود بالحيوان، وتجريده من إنسانيته، كما أن القول إن الشخص يحتاج إلى التخلّص من الديدان يعني الإشارة ضمناً إلى مفاهيم وصور القذارة والفقر وعدم القدرة على رعاية النفس، والتواطؤ بين المستخدمين في تأكيد مشهد مزاد سوق العبيد، يثبت ديناميكية واستمرار الخيال العنصري والقاموس اللغوي الاستعماري بشأن السود وإيمان العنصريين بتفوقهم عليهم بسبب اختلاف اللون.

خلل قضائي

تقدم غيريهو بشكوى إلى الشرطة الوطنية، وبالفعل حددت هوية الفاعلين وهم ثلاثة مواطنين إسبان، لكن القاضي في البداية اتخذ قراراً بحفظ القضية وأرشفتها لعدم اعتبار ما وقع جريمة عنصرية، فلم يستسلم غيريهو وقدم طعناً، وعقب أشهر قليلة، اعتقلت الشرطة أربعة أشخاص بحسب ملف القضية رقم 2016/2072 الذي اطّلعت عليه «العربي الجديد»، وحكم في 14 يوليو/تموز 2022 على اثنين منهم بالسجن لمدة عام وثلاثة أشهر ودفع غرامة بقيمة ستة يوروهات كل يوم لمدة تسعة أشهر، أي ما يعادل 1620 يورو، وتعويض الناشط بمبلغ قدره 3 آلاف يورو، بالإضافة إلى حرمان أحد المدانين من ممارسة مهنة التدريس لمدة أربع سنوات وثلاثة أشهر، على اعتبار أنه كان مدرساً وقت قيامه بالفعل الإجرامي، وتبرئة آخر، ومع أن المدانين طعنوا على الحكم، لكن الناشط الحقوقي يشعر بالرضا، على حد تعبيره، «لأن العدالة قد تحققت أخيراً في قضية تتعلق بالعنصرية، وتعد بمثابة نصر للمجتمع المهاجر، وتحذير العنصريين من ارتكاب جرائمهم عبر مواقع التواصل الاجتماعي»، وهو أمر لا يتساوى في حالة مقارنته بارتكاب الجريمة ذاتها في العالم الحقيقي بدلاً من الافتراضي، ويقتضي تشديد العقوبات على مرتكبيها، كما ترى آنا بيبانغ غونثاليث، المستشارة في دائرة شؤون الهجرة والمطّلعة على قضية غيريهو، موضحة أن وصفه بـ «الرجل الأسود القذر» في مقهى ليس كفعل ذلك على شبكات التواصل الاجتماعي، إذ يصل المحتوى إلى عدد أكبر من الناس، وبالتالي فإن الضرر والتأثير أخطر.

كيف يتصاعد خطاب الكراهية في إسبانيا؟

ينشط المرصد الإسباني لمكافحة العنصرية وكراهية الأجانب OBERAXE (حكومي يتولى مراقبة خطاب الكراهية في إسبانيا على خمس شبكات اجتماعية)، في مواجهة خطاب الكراهية، إذ رصد خلال الفترة الممتدة بين يناير/كانون الثاني وفبراير/شباط الماضي، 586 منشوراً يتضمن خطاب كراهية، وتم حذف ربعها عبر المنصات، بناء على إخطارات المرصد. كما أبلغ عن 651 محتوى يتضمن خطاب كراهية، في شهري مارس/آذار وإبريل/نيسان، وجرى حذف 21% منها، وتصدر «فيسبوك» البلاغات بـ 200 حالة، تلاه موقع «إكس» بـ 147 منشوراً، و«تيك توك» بـ 119 مقطعاً، و«يوتيوب» بـ 97 مقطعاً، و«إنستجرام» بـ 88 منشوراً.

ويتنامى خطاب الكراهية بشكل مستمر في إسبانيا، استناداً لما تكشفه إحصائيات وزارة الداخلية التي أعلنها الوزير فرناندو غراندي مارلاسكا في اجتماع لجنة مراقبة خطة العمل الثانية لمكافحة جرائم الكراهية في 31 يناير 2024، إذ ارتفعت الشكاوى المتعلقة بجرائم الكراهية خلال عام 2023 بنسبة 33,1%، بينما تلقت الجهات الأمنية 1606 بلاغات حول خطاب الكراهية بشكل عام، و604 منها تتعلق بالعنصرية وكراهية الأجانب، مقارنة بـ 1207 بلاغات كانت قوات الشرطة قد تلقتها في عام 2022.

وسجل عام 2022 أكبر عدد من إجمالي جرائم الكراهية، إذ بلغت 1869 واقعة، من بينها 755 جريمة متعلقة بالعنصرية وكراهية الأجانب تحديداً، في حين كان الإجمالي 1802 حالة عام 2021، منها 639 جريمة عنصرية وكراهية للأجانب، بينما في عام 2020، بلغ عدد جرائم العنصرية وكراهية الأجانب 458 واقعة، من أصل 1401 حادثة، وفقاً لتقرير تطور جرائم الكراهية في إسبانيا لعام 2022، الصادر عن وزارة الداخلية. وتشمل هذه الحوادث والجرائم الاعتداءات الجسدية، والتهديدات، والإيذاء، أو الانتهاك للكرامة، وتحريض على الكراهية، بالإضافة إلى المعاملة المهينة والإذلال.

وحققت أجهزة الشرطة في 15,286 حادثة وجريمة كراهية منذ عام 2014 وحتى 2023، وخلال تلك الفترة، بلغ عدد جرائم العنصرية 5,449 حادثة، ولا تشمل هذه الإحصائيات ضحايا الهجمات العنصرية من المهاجرين الذين يعيشون في إسبانيا بطريقة غير شرعية إذ يخشون الإبلاغ خوفاً من الترحيل، بحسب تقارير وزارة الداخلية العشرة التي راجعتها «العربي الجديد».

15,286 جريمة كراهية حققت فيها الشرطة منذ عام 2014 وحتى 2023

تصدّر «فيسبوك» البلاغات بشأن نشر محتوى كراهية منذ بداية عام 2024

المعلومات المفبركة سلاح العنصريين

يهدف تزوير المعلومات ونشر الأخبار الخاطئة حول المهاجرين إلى تشويه صورتهم، وخلق العداء تجاههم وصولاً إلى استهداف ورفض وجود مجموعات محددة منهم، بعد تشويه صورتهم الذهنية، كما ترصد مادي روبنسون، عضو فريق التحقيق والبحث في منظمة SOS Racismo Madrid، التي تقدم مثالاً لمسته على دور الأكاذيب والمعلومات المضللة في بناء تصور جماعي يبرر العنف والتمييز، إذ كلما يجري اقتراح فتح مركز للقاصرين في حي معين، يعارض الجيران بشدة، ما يعكس الانطباعات السلبية والخوف المغلوط من هؤلاء الشبان. ومن بين الأخبار الزائفة التي لاقت تفاعلاً واسعاً على وسائل التواصل الاجتماعي، ما نشر في مقطع فيديو حول حصول مهاجر قدم من موريتانيا إلى إسبانيا في عمر الـ64 عاماً، على راتب تقاعد قدره 720 يورو شهرياً بعد عمله لمدة عامين فقط، الأمر الذي كشف زيفه فريق التحقق في مؤسسة مالديتا (مختصة بالتحقق من المعلومات)، وأوضحوا أنه يجب على الفرد العمل لمدة لا تقل عن 15 عاماً، بالإضافة إلى امتثاله لسلسلة من الشروط الأخرى للحصول على معاش التقاعد.

وصنّف فريق المؤسسة 929 منشوراً أو محتوى مرتبطاً بالهجرة والعنصرية، وباستخدام منهجية التحقق من المعلومات، جرى التأكد من أن 161 من بينها «خادعة» أي معلومات مضللة، وجرى توضيح حقيقة 38 منها، عبر نشر الشروحات تحت عنوان «ماذا نعرف؟»، وجرى تصنيف 8 منها تحت فئة «لا يوجد دليل»، وفقاً لبيانات المؤسسة التي تلقتها «العربي الجديد» عن الفترة بين يناير 2022 وحتى مطلع عام 2024.

متى ولماذا تنتشر الظاهرة؟

يشجع عدم تمكن الشرطة من تحديد هوية المتورط في نشر الخطاب العنصري، أو إرسال رسائل كراهية على وقوع المزيد من الجرائم، كما جرى للإسباني من أصل مغربي يوسف أولاد، الناشط في مناهضة العنصرية الذي يعمل مسؤول قسم مكافحة التمييز في منظمة Rights International Spain (غير حكومية)، إذ تلقى رسائل عنصرية من حساب باسم وهمي على منصة X، بعد نشره تغريدة في 15 مارس/آذار 2019، أدان فيها من يبررون هجوماً طاول مسجداً في نيوزلندا، ويدعون «للحرب المقدسة»، كما تساءل في التغريدة عما إذا كانت الشرطة سوف تفتح تحقيقاً بتهمة «الترويج للإرهاب»، ووصل الأمر أن جاءته رسالة فيها صورة مسدس وعبارة: «احذف هذه التغريدة وإلا سوف آتي شخصياً إلى منزلك واقتلك مع عائلتك».

ويتنامى خطاب الكراهية تزامناً مع الانتخابات التي تعد من أهم مواسم التحريض على المهاجرين، بحسب ما وثقه ميكيل راموس، المحلل والباحث في خطاب الكراهية، ومؤلف كتاب مناهضة الفاشية، الذي لفت إلى أن اليمين المتطرف أدخل قضايا الهجرة واللجوء إلى صلب مخاوف المواطنين، إذ يركز خطاب حملاته الانتخابية على اتهامهم بمهددي الأمن والثقافة والموارد العامة، وتجريدهم من إنسانيتهم، وادعاء عدم رغبتهم في الاندماج، وتجريمهم وإلصاق الإرهاب بهم، وخاصة لدى وقوع هجمات في أوروبا، بحسب ما جاء في تقرير بعنوان: خطاب الكراهية على الشبكات الاجتماعية: أين الدولة من هذه القضية؟، والصادر عن بلدية برشلونة في ديسمبر/ كانون الأول 2017، محذراً من خطورة الرسائل المتطرّفة والكارهة للإسلام على مواقع التواصل الاجتماعي التي تنتشر بشكل هائل بعد وقوع حوادث، مثل سلسلة الهجمات التي أعلن تنظيم «داعش» مسؤوليته عن تنفيذها في باريس بتاريخ 13 نوفمبر/ تشرين الثاني 2015، إذ تصدر حينها هاشتاغ «اقتلوا كل المسلمين»، اللغة الإسبانية.